الإنتاج على الطريقة الحكومية والإنتاج على طريقة دور النشر الخاصة

إعداد أ/ محمد عبد الحميد جامع[1]

مجلات الأطفال في مصر . . واقع حال صحافة الطفل تلعب دوراً ليس في تكوين ثقافة الأطفال فقط بل وفي تشكيل شخصياتهم . وبالرغم من ذلك ومن الدعاوى الكثيرة والكثيفة التي ينادى بها سادة القوم "القراءة للجميع" و"القراءة للحياة" إلا ان يتبين لأى ناظر ان هناك نقصاً حاداً بل وفقراً وإفقاراً في قنوات تثقيف الأطفال المتاحة . مقارنة باعداد الأطفال المصريين التي قد تتجاوز 40 مليون طفلاً . . وظروفهم التي باتت تحرم الكثيرين منهم ليس من حق التعليم والثقافة بل والصحة والسكن ان لم يكن في حق الحياة أصلاً . مع ذلك يندهش المرء حين يجد ان المتاح من مجلات الأطفال أغلبها بات يعتمد على ترجمات مجلات (الأستربس) و(الكوميكس) الامريكية والأمريكية وفقط . بل وأكثرها ضحالة واعتماداً على العنف والقتل والإجرام والبطولات الفردية الوهمية الزائفة . وفي فوضي النشر قد يجد المرء أوراقاً بالوان فاقعة في مغلفات بلاستيكية مغلفة تباع على انها " تسالي للأولاد " . . لا هي مجلات أو ينطبق عليها أى تصنيف .

لانها ببساطة تخلو من أى بيانات عن إصدارها . . اللهم إلا اسمائها التي تعد غاية في الأبتذال والأجرام في حق الأطفال مثل "زرومة" وغيرها وعلي الرغم من الرسائل الجامعية والأبحاث المختلفة والمؤتمرات التي تقدم وتقام منذ ما يقرب من نصف قرن ويزيد تستنكر ترجمة مجلات الأطفال خصوصاً الامريكية منها وخصوصاً مجلات ديزني " ميكي وأخواتها " نجد ان دار نهضة مصر راحت تعيد إصدار مجلة ميكي وأخواتها بل ودفعت بمجموعة إصدرات متنوعة من المجلات والقصص التي تعتمد أغلبها على منتجات ديزني ، بل ولم يقتصر الأمر على تلك الدار بل لحقتها أعرق وأقدم الدور الحكومية الصحفية دار (الهلال) فراحت تصدر هي الأخرى سلسلة (توم وجيرى) وغيرها . . والأن يندر ان يجد المرء مجلة، مجلة واحدة في مصر لا تعتمد أساساً على ترجمة القصص والمجلات الامريكية حتى تلك التي لم تكن تعتمد على هذه الترجمات بل صدرت أساساً لتقاومها مثل مجلة " علاء الدين " ومن قبلها سمير . هل نحن بحاجة إلي تعداد الأثار السيئة على ثقافة الأطفال وتكوين شخصياتهم من وراء هذه الترجمات تصل إلي جرائم Child abused إذ تغربهم عن بيئاتهم وتسطيح هوياتهم وثقافتهم وشخصياتهم . . وبالتالي تدمير فاعليتهم وإبداعاتهم . . كل هذا يحدث أمام أعين الجميع وإن لم يكن بمباركتهم أيضا . وإليكم مثال . . ففي ندوة لم يمض عليها شهور كانت قد اقيمت في الهيئة العامة للكتاب أحتفالاً بإصدرات مكتبة الأسرة لكتب الأطفال التي صدرت بالأشتراك مع دور النشر الخاصة حكي الفنان الكبير عدلي رزق الله عن فترة الستينيات وكيف انه أسف للغاية من تلك الترجمات للقصص الامريكية والفرنسية التي كانوا يقومون بها في مجلة سمير وقال كم كانت هذه القصص تحمل الكثير من القيم العنصرية

(1) باحث ثقافة طفل بالمركز القومي لثقافة الطفل بالهرم.

الفجة تجاه الأمم والشعوب الأخرى مثل الهنود الحمر والسود والعرب والمسلمين . . وأستنكر بشدة ان يتم ترجمة مجلات الأطفال خصوصاً عن ثقافات عنصرية مثل الثقافة الامريكية خصوصاً ان مصر زاخرة مبدعيها من الكتاب والرسامين . ولها هذا التاريخ العريق من إصدار مجلات الأطفال . . وقد تحدثت يعده مباشرة رئيس تحرير مجلة سمير الحالية ، واستنكرت استنكار ترجمة المجلات الأجنبية للآطفال . . ثم تحدثت أمل فرح نائباً عن دار نهضة مصر وذكرت كم ان الدار بذلت مجهودات كبيرة ودفعت 2.5 مليون دولار للحصول على ترخيص إصدار مجلة National Geographic .

وإذا كان هذا إجمالي واقع حال مجلات الأطفال في مصر . . فللو قوف على هذا الواقع بدقة تقوم دراسة تحليلية نقدية مقارنة بين مجلتي National Geographic للشباب / الطبعة العربية) ومجلة قطر الندى .

مجلة : National Geographic للشباب ـ الطبعة العربية:

- وهي مجلة شهرية تصدر عن دار نهضة مصر ترجمة لمجلة **National Geographic** بترخيص من الجمعية الجغرافية الامريكية ، صدر العدد الأول منها في فبراير 2007 وقد اعتمدنا في دراستنا على مواد العددين الأول / الصادر في فبراير 2007 والعدد (24) الصادر في يناير 2009 .

1. عنوان المجلة:

كتب على الغلاف الأمامي في الطبعة العربية للمجلة أنها للشباب ومن المعروف ان منظمة National geographic تصدر عدة مجلات منها مجلة National geographic for kids ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع إلي مواقع المنظمة على Internet ، وبالتالي لا يصح ان تترجم كلمة kids التي تعني الأطفال إلي شباب ومن ثم يعد هذا تزيفاً عبر عنه أحد القراء على أحد المنتديات حين قال كنا نتظر العدد الأول من مجلة الناشنونال جيوجرفيك للشباب ولكننا إحيطنا حين تصفحنا العدد الاول منها وعلمنا أنها للأطفال .

2. مخاطبة الطفل الامريكي فقط !؟

يدرك من يطالع المجلة أنها في كافة أبوابها وتوجهاتها وأهتماماتها ومعايرها تتوجه إلي الطفل والمجتمع الامريكي والثقافة الامريكية فحسب ، وبغض النظر عن رأينا أو الرأى التربوى والثقافي لما يوجه للطفل حتى الامريكي في هذه المجلة . فإن توجهها الامريكي المغلق يبقي مبرراً طالما كانت بالاساس تتوجه إلي الطفل الامريكي فحسب . لكن ان بتصدر العدد الأول منها فقرة تقول " إن هذه المجلة تقرأ في كل مكان على وجه الأرض اذ تصدر عن 33 لغة ويقرأها أكثر من 42 مليون طفل في أكثر من 65 دولة أنها المجلة العلمية الأولي للأطفال في العالم " .

يصبح هنا الأنغلاق على الثقافة الامريكية تناقضاً لطموح رسالة المجلة كما تدعية زوراً لنفسها . ويبدو ان هذه المؤسسات ترى ان العالمية أو العولمة هي الأخذ بالثقافة الامريكية . . فالأخذ بهذه الثقافة هو غاية المراد لمن أراد الرقي والارتقاء . وطبعا يمكن المرء ان يدرك مدى بؤس هذا الرأى الذى لا يرون أصحابه سوى الثقافة الامريكية دون ثقافات وحضارات العالم . وهي الحضارة التي لم يتجاوز عمرها أكثر من 200 عام في مواجهة حضارات عريقة وعتيقة .

3. تقديم العلوم والثقافة العلمية للأطفال على طريقة الامريكية :

فالملاحظ ان المجلة تقدم أغلب موادها على طريقة المعلومات الرقمية والاحصائية والمجردة والسريعة وتقدم على أنها طرائف أو على طريقة صدق أو لا تصدق أو " هل تعلم " وهي في الحقيقة طريقة بها خفة . . ولا تجعل هناك جدية من جانب الطفل بالاهتمام بما يتلقاة ، فهذه الطريقة قد تجعل المعلومات التي يتلقاها الطفل تثير الدهشة والتعجب في حينها ولكن سرعان ما تنسي إذ انها لا تتجاوز دائرة التسلية والأبهار اللحظي . مثال ذلك :

- جاء في العدد الأول فبراير 2007 في باب أخبار الدنيا (يوجد في العالم حوالي 1200 نوع من البطيخ حول العالم وتزرع في 92 بلداً) ، (أول ظهور للتورتة في شكلها الحالي كان في المانيا ويعتقد ان أقدم تورتة صنعت في عام 1696) (البطريق من الطيور التي لا تستطيع الطيران . . جمال شكله جعله بطلاً للفيلم الكرتوني الجديد Happy feat حيث تدور أحداث الفيلم حول امبراطورية البطريق في القطب الجنوبي وقد بلغت تكلفة الفيلم 100 مليون دولار) وهكذا . . وعلي أحد الصفحات في نفس العدد جاءت قائمة بأكثر عشرة كلاب شعبية (الامريكية طبعا) . وتحت عنوان حيوانات مدهشة كتبت (أماندا برسنر) موضوعاً على ثلاث صفحات في نفس العدد مدعم بالصور الكبيرة الملونة لم يزد مضمونة على تقديم طرائف عن الحيوانات التي تهرب من حراستها . ثم هناك موضوعاً عن اساطير التشاؤم وهو موضوع عن تلك القصص الامريكية (لاحظ الامريكية) للتشاؤم من العدد (13) . . . وهكذا . ولاحظ ايضا ان هذا في العدد الأول من هذا الاصدار أما العدد (24) الصادر في يناير 2009 فنجد به مواد : حكايات مصورة عن وباء التثائب بين القرود، أول ذيل صناعي للدولفين، وأيضا موضوع على صفحة كاملة عن مضار فرط السمنة لدى القطط المدللة ؟! ثم موضوع عن مجموعة صور كطرائف رياضية ثم موضوع عن إختراعات جديدة يسّوق لسلع ترفهية إستهلاكية مثل (تليفون الوسادة) ثم هناك باب موسوعة جينيس عن الكلب الأطول في العالم) وفي باب أخر بعنوان أغرب من الخيال .
- (توجد في كل من ولايتي " كارولينا الشمالية " " وتكساس " مدينتان باسم " تيركي " **Turkey** أى الديك الرومي) .

وبالطبع نحن لسنا دعاه التجهم ضد الطرافة والطرائف . . ولكن الجدية لم تكن يوما تعني أبدا العبوس ولا الطرافة تعني التسالي أو الاستسهال او الاستهلاك خصوصا اذا كنا هنا بصدد مجلة علمية تهدف إلي تنمية التفكير والثقافة العلمية للأطفال لا التسلية أو المرح وهذا بالنسبه للطفل الامريكي فما بالك ان تقدم هذه المواد إلي الطفل المصرى وهو الذى تنتظره تحديات جبارة .

4ـ الأبهار عن طريق الصور المثيرة والألوان الصارخة:

يلاحظ أيضا ان المجلة تعتمد على الصور المثيرة . . وبالطبع الصور مهمة وكذلك التشويق خصوصا في المواد التي تقدم للأطفال ولكن ان يكون الاعتماد الأساسي على تلك الصور فقد ياتي بنتيجة عكسية إذ بات من المعروف ان تدفق الصور أو حتى المعلومات الرقمية والمجردة من دون ان يكون ذلك منتظما في منظومة لها أهداف محددة وعملية وجدية . فإن ذلك من شأنه ان يخلق نوعا من التشتت وأضعاف الملاحظة بدلا ما كان

مفترضا تقويتها . وخير مثال على ذلك ما بات يصيب الناس من تبلد أمام صور الدم في العالم وهم تعرض عليهم ليل نهار فى اجهزة الاعلام المختلفة .

5ـ الإبهار والإثارة مرة أخرى:

ويلاحظ ان الإبهار في المجلة لا يقتصر على الصورة وإستخداماتها وغيرها من فنون الأخراج الصحفي والبصرى ورغم ذلك في حد ذاته لا يقف عن الشكل بل يمتد إلي المضمون ، ومع ذلك نجد الاعتماد على الإبهار والإثارة من دون عمق يأتى حتى في صلب الموضوعات نفسها . فنجد في العدد الأول للمجلة تقدم المجلة نفسها للقراء المصريين بموضوع غلاف (تحت عنوان الملك توت ووفاته الغامضة العلم الحديث يحل لغز الفرعون الصغير) بقلم كرستين بيردراتيني وهو موضوع مبهر من اسمه والصور المرافقه له وطريقة عرضه . . لكن في النهاية نكتشف ان كل النتائج ـ ولاحظ هنا تسمية الموضوع ـ (العلم الحديث يحل لغز . . . . .) التي يقدمها الموضوع ما هي الا تخمينات ونفس التساؤلات القديمة وضعت في شكل جديد دون ان يفضي ذلك إلي نتائج أو حقائق فعليه

- في العدد الأخير الصادر يناير 2009 كان موضوع الغلاف والعدد عن (سور الصين العظيم) يكتب ناثين هو تور داجراى عن مغامرته في قطع سور الصين العظيم مشيا على الأقدام من الغرب إلي الشرق . وبعيداً عن قيمة هذه المغامرة أصلاً من كونها مغامرات من مثل صعود الهرم وهي مغامرات تهدر الطاقة في عالم يحتاج فعلاً إلي طاقة الإنسان في انقاذ الأطفال والبشر بل والعالم نفسه . . لكن هذا تقليد غربي بات يصرف جهد وطاقة المغامرين في منافسات لاطائل من ورائها . . لكن الكاتب يحاول ان يعظم من هذه المغامرة بقوله " انضمت إلى مجموعة من الرحالة يجمعهم هدف واحد لقد رغبنا جميعا في ان نكون أول من يقطع السور من غير الصنيين كان هدفنا ان نظهر للعالم ان باستطاعه مجموعة من الأشخاص من دول مختلفة تماماً القيام بعمل عظيم، وتحاول المجلة من ناحيتها ان تعظم هذه المغامرة فنجد على الصفحة الأولي للموضوع ملحوظة تقول " دراسات اجتماعية : استراتيجية القراءة :

- (ضع هدفاً لقراءتك مثلا تحديد سبب رحلة الكاتب فوق سور الصين العظيم وأبق هذا الهدف في ذهنك أثناء القراءة)، ومع ذلك فإن بعد قراءة الموضوع يتضح ان الكاتب أكمل وحيداً مغامرته فكانت بطولة فردية عكس الهدف الأساس . فضلا على ان الموضوع تم التركيز فيه على مغامرة الكاتب وبطولته وجاءت المعلومات عن السور مبتسرة حتى انه لم يذكر في الموضوع ارتفاع سور الصين العظيم أصل الموضوع!؟

6ـ استعراض القوة الأمريكي:

وعلى الرغم من ان المجلة تدعي لنفسها انها تتوجه لكل أطفال العالم إلا ان هناك إصرار دائم يمكن ملاحظه بسهوله هو الأصرار على الأبهار واستعراض القوة الامريكي ففي العدد الأول موضوع (أكتشافات هابل المذهلة) للكاتب (راى فيلاد) وهو موضوع مكتوب برؤية ومدعم بصور صرحية عملاقة لمؤسسات الفضاء الامريكية وصواريخها الفضائية مختارة عن قصد لإبهار الأطفال حد السحق بانجازات الفضاء الامريكي أو غزو الفضاء على حد تعبيرهم، فتجد عناوين فرعية مثل (هابل فوق الجميع) ، (بلوتو ليس النهاية) غير ان الموضوع محتشد بالارقام والاحصائيات عن الغزو الفضائي الامريكي . . وهو تحضر رغم جبروته لكن في عمقه

وجوهره هش وغير إنساني فماذا لو نظر طفل من العالم الثالث إلي كل ذلك وتساءل ببراءة ألم يكن بالأمكان اقتطاع جزءاً جزءاً فقط من هذا الأنفاق لأطعام الأطفال والشيوخ الذين يموتون جوعي .

7ـ التحريض على العنف:

جاء في العدد الأول وفي قلب المجلة على صفتحتي الوسط موضوعاً بعنوان " مطلوب فرسان " مصحوباً بصور مكبرة لفرسان القرون الوسطي المدرعيين بالحديد وسيوفهم الطويلة الحادة القاتلة . . ويكتب شين ماكولام مخاطباً الأطفال طبعاً !! . .

فإذا أردت ان تكون فارساً إليك ما سيطلبه منك صاحب العمل فيجب ان تكون شجاعاً ثم يفسر لهم الشجاعة بمميزات فارس العصور الوسطي (الصورة التي تستدعى في لخيالنا الفرسان الصلبيين) .

(كان يقذف خصمه بحربه بسرعه تصل إلي مايقرب 50 كيلومتراً في الساعة أو يهوى على الجنود المشاة فيشطرهم ، وفي نفس الوقت تنسحق الضحايا تحت حوافر جواده) ولا تعليق .

ثم يواصل سرده على الأطفال وصاياه الدموية : على الفارس الا يعرف الخوف يملك دروعاً لامعة وأسلحة كاملة . . . وينتهي . . للاستعلام وتقديم طلبات التأهيل . . أتصل بالقلعة . . وهو موضوع لا نجد فيه تبعاً لمضمونه ولغته وطريقه عرضه سوى تهيئة للأطفال اليوم وشباب المستقبل للأشتراك في منظمات جيوش المرتزقة الأمريكية التي باتت تؤمن الغزو الامريكي في العراق وأفغانستان من أبناء نفس البلد أو البلدان البائسة مثل البلدان العربية وغيرها . وهو ما تم فضحه قريباً فى وسائل الاعلام حتى الامريكية منها في أغواء وإستدارج كثير من الشبان المصريين صغيرى السن الى منظمة (Black Water) على وجه التجديد وهي منظمة عسكرية امريكية خاصة تعمل في العراق ولا تتورع عن القتل على أتفه الأسباب حتى ولو كان الضحايا من الأطفال .

8ـ الاعلان عن السلع المهلكة:

من يتصفح المجلة يكتشف حجم الأعلانات المباشرة والمركبة بطريقه مثيرة ومبهرة وجاذبة للأطفال وذلك عن الأطعمة السريعة مثل الهامبورجر والمشروبات الغازية مثل الكولا وغيرها وهي أغذية من يطلع على مخاطرها خصوصاً على الأطفال لابد ان يطالب بتحريمها دولياً . . ومع ذلك فإن المجلة لا تكفي بالنشر الصريح لهذه الاعلانات بل تتقنن في تضمين ذلك في الموضوعات التي تقدمها بطريقه تجعل الأطفال يقبلوا على هذه السلع ويحبونها من دون ان يدركوا ذلك مثال مثل ذلك الموضوع عن " المعزة " التي تعشق الكولا مع مجموعة صور وهي تشرب علب الكولا .

مدى فائدة المجلة للطفل المصرى / العربي:

من ذلك العرض المختصر جداً لبعض مواد المجلة . . التي يصدق ضررها على الطفل الامريكي من وجهة تربوية سليمة ومسئولة . . فان الأمر بالنسبه للطفل المصرى والعربي يتجاوز ذلك . . فالموضوعات التي تقدمها المجلة له عن بيئات لا يعرفها الطفل المصرى تماماً أو حتى بالقدر الكافي . . وبمعلومات مبتسرة ومجتزئة ومن دون وجود مرجعية متاحة للتحقيق من صحتها . كل ذلك يجعل الطفل المصرى مغترباً عن بيئته الأصلية

مششتاً في تفكيره وخياله . . فمن غير المعقول ان هذه المجلة تساعد الطفل على تنمية تفكيرة العلمي وثقافته البيئية وتنمية خياله وهي تدفعه لتعرف على عادات الحيوانات البرية الصغيرة في القضب الجنوبي من قبل ان يتاح لهذا الطفل طرقاً تجعله يتعرف على الطيور التي تحيط به في بيئة المصرية من دون ان يتعرف على الهدهد وألوان ريشه !! .

عن المجلة :

هذا جزءاً يسيرا فقط من الأنتقادات الكثيرة التي يمكن ان توجه إلي المجلة يجعلها موضوع أتهام حقيقي بما تفعله تجاه الأطفال الأمريكيين وأطفال العالم . وتجاه الأطفال المصريين والعرب في طبعتها العربية .

اذ لم نستطع الإفاضة نظراً لظروف البحث نفسه . . ولكن تلك قصه أخرى .

موقف الأطراف المختلفه من المجلة:

إذا إدركنا الأضرار وليس الفوائد التي تعود على الطفل المصرى من إصدار هذه المجلة في طبعتها العربية . . وأضفنا عليها انه كان بامكان دار النشر التي أصدرتها ودفعت في رخصتها الملايين من الدولارات ان توجه هذه الملايين أو جزءاً منها لإصدار مجلة علمية للطفل المصرى تدرك إحتياجاته الفعلية وما تريد ان تعده له بمسئولية تربوية حقيقية خصوصاً في ظل وجود القدرات البشرية المصرية القادرة على إصدار هذه المجلة .

ولكن يبدو ان المسألة تتعلق لدى هذه الدار – هي بالمناسبة مؤسسة كبيرة وعريقة تاريخها لا يقل عن 80 سنة ، ومواردها كثيرة وغنية وغيرها من الدور المصرية التي ترعي مصلحة الطفل المصرى ان المسالة لاتتجاوز في الأول والأخير الربح والربح المضاعف والمتضاعف والمركب والمضمون . . بلا نهاية وعليه فهي تتجه لشراء علامة تجارية لامعه لها سطوة وقوة حتى على القراء بعيداً عن مدى فائدتها ، تماماً كما هو الحال في الأغذية التي يقدمها الأباء لأبنائهم حين يصحبونهم إلي محلات ماك دونالدز .

أما بالنسبه للأباء فقد يقولوا آن الأبناء هم من يقبلون على هذه المجلات خصوصاً أنها مبهرة لهم باخراجها ومعلوماتها . . والحقيقة ان ذلك كاذب أيضا وأقبال الأطفال فوق أنهم يكونون مأخذون أحياناً بالأبهار الذى تقدمه هذه المجلات وبالتالي فهم غير قادرين على التميز والفرز خصوصاً في غياب مساعدة الراشدين لهم بالإضافة إلي ذلك فقد بينت دراسة حديثة ذات نتائج غاية في الأهمية وهي الدراسة التي أجرتها د . إيناس حامد على مجموعات مختلفة من الأطفال وتفضيلاتهم تجاه المجلات الأجنبية ان الأطفال رافضين حقيقة لشخصيات هذه المجلات التي غالباً ما تكون عنيفة ودموية وتحقق بطولات فردية على حساب الأخرين وكذلك المواد التي في هذه المجلات لكنهم هم مضطرين أن يتجاوبوا مع هذه المجلات وشخصياتها نظراً لتفضيلات الوالدين أو الكبار عموماً لها وبالتالي فرضها عليهم .

مجلة قطر الندى:

مجلة قطر الندى مجلة شهرية للطفل . . تصدر عن الهيئة الثقافية منذ عام 1995 . وهي مجلة شاملة يصعب ان نحدد السن الذى تتوجه اليه . . وإن كان يمكن أن نقول أنها تتوجه بالاسس الى مرحلة الطفولة المبكرة . . وربما المتأخرة فى البيئات الريفية والفقيرة ثقافياً .

ربما تحتاج قطر الندى الى دراسة تحليلية مستقلة . . ولكن هنا تأتى دراستنا لها لبيان ان نفس الاخطاء التى تقع فيها دور النشر الخاصة حين تنتج أدباً أو مجلات للاطفال تحت شرط تعطشها للربح الوفير والمضمون ولو على حساب الطفل . . قد تقع فيه المؤسسات الحكومية حتى ولو كانت بالاساس مثل الهيئة العامة لقصورالثقافة أو ما كانت تسمى عليه (هيئة الثقافة الجماهيرية) وإن تشابهت الأسباب أو اتلفت بقدر ما هنا أو هناك .

نعتمد فى دراستنا على عددين منها هما العدد (359) ديسمبر 2008 ، والعدد (361) يناير 2009 .

مجلة للأطفال لا تصل للاطفال:

بعيداً عن التحليل النقدى للمجلة تبدو هناك نقطة اساسية لا بد أن تناقش أولاً وهى أن هذه المجلة التى تصدر اساساً عن هيئة ثقافية عامة . . تهدف بالاساس الى تثقيف الطفل المصرى خصوصاً هذا الى تثقيف الطفل المصرى خصوصاً هذا الطفل الذى يعد محروماً من التغذية الثقافية ومع ذلك لا تصل اليه المجلة فى النهاية . . وهذا ليس لارتفاع سعر المجلة فالمجلة سعرها يعد معقولاً لمن يريد أن يشتريها ولكن فى الحقيقة أن الغالبية العامة من الاطفال الفقراء خصوصاً فى عشوئيات المدن وفى الارياف من المفترض ان يقرؤا هذه المجلة هذه المجلة فى المدارس وقصور الثقافة والمكتبات العامة ومراكز الشباب والجمعيات الاهلية . . ولكن فى واقع الامران كل هذه الاماكن لا تصل اليها المجلة وان وصلت فتصل بنسبة ضئيلة أو أنها تتركز فى بعض الفروع التى تشمل هذه المؤسسات فى القاهرة وفقط . . فكثير من قصور الثقافة نفسها . . أقول أن لم يكن أغلبها لا تصل اليها المجلة وهى القصور التابعة للهيئة التى تصدر عنها المجلة أصلاً وهى لاتصل اليها لأن لا الهيئة ولا المجلة لديهم اهتمام بإرسال المجلة الى هذه القصور ، ناهيك عن المؤسسات العامة الأخرى . . ففى حديث مع أ . أحمد زرزور رئيس تحرير المجلة إذيع فى أول يناير على البرنامج الثقافى ذكر أن المجلة تطبع 5000 نسخة جارى زيادتها الى 7000 نسخة يذهب منها 2000 نسخة الى وزارة التربية والتعليم بموجب اتفاقية (لاحظ العدد . . ولك أن تقارن عدد المدارس فى مصر بهذا العدد فقط) ، وأضاف أن هناك 500 نسخة توزع كهدايا على الشخصيات العامة وجهات مختلفة لم يذكر من بينها قصور الثقافة ولا أى هيئة عامة من الاماكن السالف ذكرها والباقى تقوم بتوزيعه احدى شركات التوزيع الكبرى فى القاهرة والمحافظات . . وأضاف انها هناك شكاوى مستمرة من أن القراء لا يجدون المجلة عند باعة الصحف والحقيقة لا بد أن يتساءل المرء هنا تبعاً لهذه المعلومات وتبعاً لهذا المأزق أين التخطيط لثقافة الطفل من مجلة كهذه . . بل أن الهيئات العامة بما فيها هيئة قصور الثقافة وزارة التعليم والمجلس القومى للطفولة وعدّد من هنا الى ما شاء الله فى هذه الهيئات والمؤسسات والمجالس وغيرها من المؤسسات العامة التى تقوم فقط وفقط وحسب للتخطيط للطفل . . أين هذه الهيئات من دعم مجلة كهذه لتصل حتى على حالها ليس لأطفال مصر فقط بل لعدد ولو يسير من ملايين الاطفال ، وأين أموال هذه المؤسسات من دعم مجلة كهذه وهى تصرف اموالها كما يظهر فى الاعلام فى مهرجانات ومؤتمرات بأسم الطفل لا يعود عليه منها شيئاً .

- إذا كانت الدولة تصدر هذه المجلة لأجل الطفل المصرى وليس لأجل الربح أو حتى استرداد تكاليفها فلماذا لا توزع الهيئة المجلة عبر قصورها ومكتباتها وعبر المدارس وغيرها من المؤسسات الشعبية والعامة كما ذكرنا حتى المساجد والكنائس . . هذا بالاضافة الى ابتكار طرق جديدة وحقيقية لتوزيع المجلة وايصالها الى

الاطفال وهذا ليس معناه ان توزع المجلة بالمجان بالكامل . . لكن ما نريد أن نعرف به أنه يمكن عن طريق ابتكار طرق جديدة فى التوزيع أن يتم توفير مبلغ كبير جداً أعتقد انه يستحوذ على النصيب الاكبر من ميزانية المجلة إلا وهو ما يتم دفعه لشركة التوزيع . . هذا بالاضافة الى أنه من المعروف فى عالم الطباعة وخصوصاً طباعة المجلات والجرائد انه كلما زاد عدد النسخ المطبوعة قلت التكلفة . . فبقى التساؤل لماذا لا يزيد عدد النسخ خصوصاً كما قال رئيس التحرير هناك طلب عليها ، ونعود إلي التوزيع ـ اليس غريباً الا توجد المجلة في المنفذ الوحيد للهيئة لبيع مطبوعاتها وهو يقع في نفس مقر الهيئة ؟

- وبعد لماذا الأصرار على الاستعانة بشركة توزيع من دون حتى أن تحقق مهمة توزيع المجلة على الوجة الأكمل على ما تحصل عليه من أموال كبيرة من ميزانية المجلة . لماذا ذلك من دون حتى استغلال إمكانيات الهيئة في توزيع المجلة . فالحقيقة ان الهيئة لديها من الموظفين والعمالة الزائدة التي طالما تشكو الهيئة والحكومة بشكل عام منهم فلماذا لا يتم الاستعانة بهم لتوزيع المجلة . . الحقيقة المقترحات لا تنتهي وطالما قدمت إلي الهيئة عبر سنينها الطويلة . . لكن يبدو لنا ان الأصرار على ذلك الشكل الذى لا يتناسب مع امكانيات الهيئة في توزيع المجلة وطباعتها وهذه لها قصة أخرى نرجئها حتى نصل اليها) .

ليس له مبرر لدينا سوى أولاً غياب التخطيط بل سيادة منطق العشوائية في تسير الأمور الأمر الثاني هو ضمان الربح بغض النظر عن مصلحة الطفل المصرى . . تماماً مثلما تقوم به دور النشر الخاصة . . لكن الفرق هنا ليس الربح المادى بل الربح المعنوى فهذه المؤسسات تتبع في سياساتها الاعلان عن نفسها وبالتالي القائمين عليها يكونوا بالأساس مهتمين بالاعلان عن اعمالهم لا إنجازها الفعلي وبالتالي فمسالة إكال توزيع مجلة قطر الندى التي تصدرها الدولة إلي شركة توزيع لتقوم بتوزيعها عند باعة الصحف هذا يتم للاعلان أمام الناس ان الهيئة والدوله تصدر مجلة دورية للطفل المصرى وبسعر رخيص .

أقول هذا . . وإلا لماذا لا يتم تفعيل الأقتراحات الكثيرة في طباعة وتوزيع المجلة وغيرها من مطبوعات الهيئة أو حتى القيام بمجرد المحاولة في هذا الأتجاه .

الطباعة :

يلاحظ ان المجلة تحاول ان تنافس دور النشر الخاصة في ان تطبع على ورق مصقول لامع .

والحقيقة ان مهمة الهيئة تضعها في مسئولية تجعل انه ليس هناك موضعاً أو محلاً أو مبرراً للدخول مع دور النشر الخاصة في منافسة فى الطباعة تبعاً لشروط النشر الخاصة ناهيك عن الميزانية . . فغير الأضرار الصحية التي تجعل الورق المصقول اللامع يجب إستبعاده أصلاً .

فتبعاً لميزانية المجلة كان على إدارة المجلة وهيئة تحريرها البحث مواصفات طباعية مختلفة ومبتكره دون ان تضحى بالقيم الجمالية في المجلة اللهم الا ان هذه الطرق الإبداعية الآخرى قد لا توفر في الميزانية فحسب بل تضع قيماً جمالية مختلفة ومبتكرة تناسب ذوق الطفل المصرى وإحتياجاته . وهذه الطرق الطباعية المبتكرة ليس إلهاماً سيتم إنتظاره بل هناك تجارب وليست أفكار تم تجريبها من قبل فى مجلات مصرية ، وخبرؤها ليسوا بعيدين عن إدارة المجلة أو الهيئة .

غياب الرؤية وتشتتها :

يلاحظ على مجلة قطر الندى بالرغم من اجتهادات هيئة تحريرها أنها تفتقد لما تريد ان تقدمه للطفل المصرى فمن المفروض وهي مجلة تصدر عن هيئة ثقافية مصرية ان تكون مهتمة بالأساس بتغذية الطفل المصرى بروافد ثقافته المصرية والعربية والاسلامية وهكذا، أى تنطق من الدوائر التي هي أقرب إلي جوهر ثقافة الطفل حتى تصل إلي الدائرة الإنسانية الكبرى.

ولكن ما يحدث أحياناً ان هذا الهدف يتوه بشده عن مواد المجلة . . فتجد مثلاً ان كثيرا ما تكون النماذج أو الشخصيات التي تقدم للطفل من خلال المجلة ليست لها علاقة حميمة بثقافته الأساسية وليس هنا مبرراً لوجودها في المجلة اللهم سوى أنها أصبحت أنماطاً سائدة في المجلات الآخرى فالمجلة من المفروض أنها باتت تنفرد بتقدير الثقافة المصرية والعربية للطفل المصرى مع ذلك فإن المجلة تصر ان تكون هناك قصة مترجمة في كل عدد تقريباً . . رغم ان ذلك تغطيه مجلات أخرى وهذا ليس من مهام المجلة أيضاً، هذا بالاضافة تقديم لشخصيات غربية ليس لها علاقة من قريب أو يعيد بالثقافة المصرية العربية اللهم إلا شيوعها كأيقونات في الاعلام الغربي الذى بات يريد تنميط ثقافة الإنسان اينما كان. مثال ذلك ما جاء على غلاف العدد (361) يناير 2009 لصورة كبيرة لبابا نويل آحتلت كل الغلاف بالمفردات الأيقونية التي تصاحبه مثل كيس الهدايا الذى يحمله على ظهره وزحافة الثلوج وشجرة الأرز وتقدم المجلة هذه الصورة أحتفالاً برأس السنة . . أو ما يعرف بالكريسماس وهو عيد ليس أصيلاً في الثقافة المصرية حتى لدى المسحيين المصريين وإستدعاء ايقونة بابانويل من دون ان يكون هناك ارتباط للطفل المصرى بهذه الايقونة أو انه يدرك حكايتها ومغزاها . . والطريف ان هذا العام صادف ان يكون الأحتفال بالسنة الميلادية في نفس يوم بالاحتفال بالسنة الهجرية . . فكتبت المجلة على غلافها هدايا: للبنات والأولاد . . في عيد الهجرة والميلاد وفضلت ايقونة بابانويل للغلاف من دون ان يكون له دلالة عميقة وحقيقة في الثقافة المصرية والعربية .

الرسوم والخطوط :

أيضا يلاحظ أعتماد المجلة في أغلب أبوابها على رسوم الجرفيك المفذه بالكمبيوتر وكذلك الخطوط المستخدمة في كافة عناوين المجلة والحقيقة ان المجلة كانت فرصة جيدة لأن تكون هي نفسها نافذة للحفاظ على اللمسة البشرية النقية في الرسوم خصوصاً أنها تعتمد على رسامين قادرين (سواء كانوا شبان أو مخضرمين) على الاعتماد على اقلامهم وريشاتهم فقط . . كذلك كان يمكن للمجلة ان تكون نافذة لنشر جماليات الخط العربي اليدوى .

والتعريف به للأطفال خصوصاً ان ذلك سيكون بشكل غير مباشر اذ كان يكفي ان تستخدمة في خطوط عناوينها . بدلاً من تلك الخطوط الكمبيوترية التي ان لم تكن تخلو من أى جمال فتقل كثيراً عن جماليات خطوط فن الخط العربي الأصيل .

هذا بعضاً من كل وعذراً على الإطالة أو الأختصار على الأصح .

قائمة المراجع

1. اعداد مجلة National Geographic للشباب الطبعة العربية . خصوصاً عـددى (1) فبرايـر 2007 (24) يناير 2009 .
2. اعداد مجلة قطر الندى خصوصاً عددى (359) ديسمبر 2008 (361) عدد يناير 2009 .
3. د . سهير محفوظ – دراسة نقدية تحليلية لمجلة قطر الندى في . محيى اللباد مجلات الأطفال في مصر – مجموعة مؤلفين الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1990 .
4. د. إيناس محمود حامد صـورة الأخـر في مجـلات الأطفـال . بحـث تحـت الطبـع في مركـز توثيـق الكتـاب بالروضة .
5. اجلال خليفة الوسائل الصحفية وتحـديات المجتمـع الاسـلامي المعاصـر الأنجلـو المـصرية الطبعـة الأولـي 1980 .

obeikandl.com